

هاجس التراث وتقويض المقدس في روايات أمين الزاوي – دراسة تأويلية تفكيكية – رواية " شارع إبليس " أنموذجا

The obsession with heritage and subversion the sacred in Amin

Zaoui's novels the novel -Devil Street- as an example

بوديلمي صلاح الدين

قرزيز عادل *

جامعة الحاج لخضر - باتنة

جامعة الحاج لخضر 1- باتنة

مخبر الشعرية - جامعة باتنة

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

Salaheddine.boudilmi@univ-batna.dz

adil.guerziz@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2025-06-01

تاريخ الإرسال: 2025-04-24

ملخص:

اهتم الكاتب الجزائري أمين الزاوي بتوظيف التراث العربي الإسلامي في رواياته، لكن رؤيته للتراث تختلف عن النظرة السائدة التي تجعل من التراث منظومة مقدسة. حيث سعى إلى نقده وتفكيكه بكل جرأة وحرية. وتتجلى في رواياته – بطريقة مباشرة وأخرى مضمرة – ملامح نزع القداسة وخلخلة اليقينيّات والخوض في قضايا المسكوت عنه والمهمش والثالث المحرم. إن المنظومة التراثية لاتزال حاضرة في الذهنية والراهن العربي الإسلامي، وتأثيرها عميق وكبير على الإنسان العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: التراث؛ المقدس؛ نزع القداسة؛ الهوية.

Abstract:

The Algerian writer Amin Zaoui was intersted in employing the Arab-islamic heritage in his novels.

But his vision of heritage differs from the prevailing view, which makes heritage a sacred system, as he sought to criticize and dismantle it with boldness and freedom.

The features of desacralization and interst in issues of the unspeakable, the marginalized, and the forbidden trinity are evident in his novels – directly and implicitly- the heritage system is still present in the Arab-Islamic mentality, and its impact is profound and significant on contemporary arab people.

Keywords: heritage; sacred ; desacralization; identity.

*- المؤلف المراسل.

اهتمت الأمم بماضي أسلافها الديني واللغوي والفكري. يحذوها في ذلك الحفاظ على الهوية والأصالة، والحنين إلى الماضي والرغبة في إحياء وتجديد تراث الأجداد، ونفض الغبار عن كنوزهم المعرفية المختلفة.

وأبرز الإسهامات في إحياء التراث، عودة الفكر الأوروبي إلى فترة تاريخية مشعة وهي الحضارة اليونانية، التي بلغت درجة كبيرة من النضج الفكري والتأسيس لمعارف فلسفية وعلمية ولغوية.

وعلى غرار العودة الأوروبية للكنوز اليونانية، اتبعت الكثير من الأمم هذه السياسة المعرفية، حيث اهتم الصينيون والهنود والعرب بإحياء علومهم ومعارفهم المختلفة.

ويعتبر التراث العربي مادة غنية ومتعددة تحتوي على نفائس لغوية وفقهية وفلسفية وعلمية مثيرة للاهتمام، وقد كانت الالتفاتة الأولى لهذا التراث من طرف المستشرقين ورواد النهضة، غير أن نكسة حزيران سنة 1967م كانت نقطة مفصلية في البحث والتنقيب والنقد وإثارة الإشكاليات.

ويعتبر الفن الروائي من أكثر الفنون التي حاولت الاستثمار في التراث وتوظيفه وإظهار جوانبه المشعة ونقد ومساءلة جوانبه المعتمدة المظلمة.

ومن بين الروائيين الذين اهتموا بقضية التراث ومسائلته ونقده، أمين الزاوي، الذي كرس مشروعه الروائي للبحث في إشكاليات الماضي ومسائلتها بكل جرأة، وأضحت هاجسا مركزيا حاضرا في كل كتاباته الروائية والفكرية.

فكيف يرى أمين الزاوي التراث؟

وما علاقة التراث بالمقدس؟

وما هي مرجعياته في نقد التراث؟

وکیف تتحدد ملامح الهوية في كتاباته؟

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة سنتحدث وفقا لما يلي:

1- في مفهوم التراث:

التراث هو المخزون الفكري والحضاري الذي تستند عليه الأمة للحفاظ على هويتها وأصالتها، والتأسيس لحاضرها ومستقبلها، وهو المرجعية التي تحدد للأمة رؤيتها للعالم وتصورها للهوية والتاريخ والمقدس.

وسنعرض له وفقا لما يلي:

أ- التراث لغة:

في لسان العرب:

ورث : وَرِثَهُ مَالَهُ وَمَجْدَهُ وَوَرِثَهُ عَنْهُ وَرَثًا وَرِثَةً وَوَرَاثَةً وَإِرَاثَةً. وقال الله تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إياه : هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب؛ أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي.¹

وقد ورد في مختار الصحاح:

ورث : (وَرِثَ) أَبَاهُ وَ (وَرِثَ) السَّيِّءَ مِنْ أَبِيهِ (يَرِثُهُ) بِكَسْرِ الرَّاءِ فِيهِمَا. (وَرِثًا) وَ (وَرِثَةً) وَ (وَرَاثَةً) بِكَسْرِ الْوَاوِ فِي الثَّلَاثَةِ، وَ (إِرْثًا) بِكَسْرِ الهمزة. وَ (أُورِثَهُ) أَبُوهُ السَّيِّءَ وَ (وَرِثَهُ) إِيَّاهُ. وَ (وَرِثَ) فَلَانٌ فَلَانًا (تَوْرِثًا) أَدْخَلَهُ فِي مَالِهِ عَلَى وَرَثَتِهِ.²

¹ - ابن منظور، (د ت)، لسان العرب، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ص 200.

² - أبو بكر الرازي، (1986)، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، ص 298.

والملاحظ أن تعريف التراث في المعاجم القديمة لم يعرف التصور الحديث والحمولة الفكرية لهذا المصطلح.

ب - التراث اصطلاحاً :

هناك عدة تعريفات اصطلاحية للتراث، وذلك لاهتمام عدة تخصصات معرفية بهذا المصطلح.

يعرفه عبد السلام هارون : " إن التراث هو ميراثنا، وما ورثناه من علماء الأمة في كافة مجالات علومها"¹ ويظهر من تعريف عبد السلام هارون أن التراث واسع ويحتوي مجالات عديدة، لكنه ينحصر في الموروث المكتوب فقط.

أما محمد عابد الجابري، فإنه يتفق مع عبد السلام هارون في تحديد التراث وحصره في الموروث المكتوب فقط ويعرفه كما يلي:

" التراث هو كل ما هو حاضر فينا ومعنا من الماضي، سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد"² ونقطة الاختلاف بين الجابري وعبد السلام هارون؛ هي أن الأخير يحصر التراث في الموروث الذي وصلنا من علماء الأمة، غير أن الجابري يوسع مجاله ليشمل ماضينا وماضي غيرنا.

ومن خلال ما أوردنا من تعريفات المعاجم، يتضح أن القدماء لم يعرفوا مصطلح التراث بالمفهوم الحديث، حيث اقتصر تعريفه على ما يتركه الآباء لأبناءهم من مال وأموال مختلفة.

¹ - خالد فهي، أحمد محمود، (2014)، مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، مركز تراث للبحوث والدراسات، القاهرة، مصر، ط1، ص 45.

² - محمد عابد الجابري، (1991)، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 45.

1-1- علاقة الرواية بالتراث:

استلهمت الرواية العربية المادة التراثية في المتن والأسلوب، وذلك لتأصيل الرواية وإعطاءها ثوبا عربيا يتميز عن الرؤية والهوية الغربية، بالإضافة إلى استثمار الطاقات الحكائية وتوظيفها بطريقة فنية وجمالية وإبداعية.

ونظرا لقيمة التراث الفكرية والجمالية والأيدولوجية، اهتم الروائي أمين الزاوي بالتراث العربي والإسلامي ومدى حضوره في حياتنا مبرزا جوانبه التنويرية، وناقدا لما يراه فكرا ميتا لا يستجيب مع تطلعات المجتمع الحديث ورهاناته الحضارية، وذلك من خلال طرح العديد من التساؤلات والإشكاليات والمعضلات التي يعيشها العالم العربي نتيجة نظرتة التبجيلية والتقليدية لتراث السلف، ومحاربته لكل قراءة حديثة تحمل تأويلا مختلفا للأفكار السائدة والموروثة.

2-1- التيارات الفكرية العربية ونظرتها للتراث:

تختلف النظرة للتراث من تيار لآخر، حسب المنطلق الأيدولوجي لكل فئة، حيث ينقسم المثقفون والمبدعون في رؤاهم وتصوراتهم انقساما حادا تغذيه نزعة التعصب والإقصاء والأدلجة.

أ- أنصار التراث:

تنظر هذه الفئة للتراث نظرة تقليدية، وتدافع عنه باعتباره المنطلق الأساسي والمرجعية المركزية للأمة العربية، وتدعي بأن تقدم الأمة ورقمها مرتبط بالعودة للأسلاف، وتعادي الأفكار الغربية ومعتقداتها وتياراتها، ويقول الجابري واصفا هذا التيار "إن ما يميز الثقافة العربية منذ عصر التدوين إلى اليوم هو أن " الحركة" داخلها لا تتجسد في إنتاج الجديد، بل في إعادة إنتاج القديم، وقد تطورت عملية الإنتاج هذه منذ القرن السابع إلى تكلس وتقوقع واجترار، فساد فيها ما سبق أن عبرنا عنه ب " الفهم التراثي للتراث" وهو

الفهم الذي مازال سائدا إلى اليوم"¹ ورؤية هذا التيار محافظة وتقليدية مؤدلجة ترفض منجزات الحداثة لارتباطها بالغرب وأتباعه من العلمانيين والحدائين.

ب- أنصار الحداثة: وينقسمون إلى تيارين:

أولا - المتطرفون:

ينطلق هذا التيار في أفكاره من منجزات الحداثة الغربية ذات النزعة العلمانية المتطرفة، حيث يدعو إلى قطيعة كبرى ونهائية مع تراث الأمة بجميع مستوياته، ويرفض العودة للماضي رفضا جذريا، وتقوم أفكار أنصار الحداثة المتطرفة على نظرة إقصائية وأيديولوجية تعادي الموروث العربي الإسلامي وتذوب في الحداثة الأوروبية.

ثانيا- الوسطيون:

تتوسط هذه الفئة التيارين السابقين. حيث تحتفي بالموروث العربي الإسلامي، وتدعو إلى الاستثمار فيه وتوظيفه وتجديده بما يسير الراهن من إشكالياته وأزماته ومتطلباته، كما أنها لا ترفض منجزات الحداثة الغربية، وتستخلص منها ما تراه يتوافق مع هوية الأمة وأصالتها، ولا يتعارض مع دينها ومقدساتها.

3-1 موقف أمين الزاوي من التراث:

يرفض الزاوي النظرة التقديسية التبجيلية للتراث، ويرى أنها سبب نكوص الأمة وتخلفها؛ فتقديس التراث حسب رأيه أنتج أزمات وأمراض أصابت المجتمعات العربية والإسلامية بعمالة فكرية، وخطابات رجعية بعيدة عن العصر الراهن، وله آراء نقدية جريئة في مسألة التراث ونقد المقدس الديني والتاريخي واللغوي.

وعكس أنصار الحداثة المتطرفة؛ الذين يدعون لقطيعة جذرية مع التراث، نجد أن أمين الزاوي ضد هذه القطيعة الكبرى والجذرية، فهو يستثمر في توظيف التراث أسلوبا

¹ - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 15.

ومتنا، لكنه في الوقت نفسه ضد ومع؛ فمن ناحية هو ضد جزء من التراث يراه سبب تخلف الأمة، ويعيد إنتاج الأزمات من النواحي الثقافية والفكرية والسياسية بطريقة اجترارية، ومع جزء آخر من التراث يرى بأنه يحتوي على كنوز فنية ومعرفية؛ يتمثل في التراث العقلاني والفكري والأدبي.

وخلاصة القول إن نظرة أمين الزاوي إلى التراث نظرة انتقائية، تنم عن رؤية أيديولوجية تعادي جزءا كبيرا منه، وتضعه في خانة الاتهام، وبذلك فنظرته تنطوي على دعوة لقطيعة ناعمة مع التراث.

1- النزعة التقويضية في الرواية عند أمين الزاوي:

تدور مجمل أعمال أمين الزاوي في فلك الممنوع، حيث يتمرد على كل الأعراف الدينية والاجتماعية للمجتمع الجزائري والعربي بصفة عامة، يعري من خلالها القنوات الراسخة والقيم الموروثة، ضاربا عرض الحائط لكل المتعاليات المقدسة في الفكر والثقافة العربية الإسلامية بطريقة استفزازية وجريئة تثير الكثير من الجدل في الساحة الثقافية الجزائرية والعربية.

a. ملخص رواية شارع إبليس:

صدرت رواية " شارع إبليس " عن الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت، ومنشورات الاختلاف بالجزائر سنة 2009 , عدد صفحاتها 224 صفحة.

تحكي أحداثها عن جزائر الثورة وجزائر الاستقلال، ينطلق فيها من إشكاليات عميقة عرفت الثورة الجزائرية، وقد صور فيها ثورة نوفمبر بطريقة واقعية بعيدة عن البطولات وهالة القداسة التي تصل إلى حدود الأسطورة في التأريخ الرسمي، وهو بذلك يبحث عن التاريخ الهامشي المسكوت عنه الذي سطرته الثورة الجزائرية بأبطالها وأحداثها وفئاتها المختلفة.

ويشير عنوان الرواية " شارع إبليس " إلى عوالم عميقة وغامضة يلفها الشر والخبث الإنساني، بالإضافة إلى المكائد والدسائس التي يعيشها الإنسان بخاصة في أوقات الأزمات والحروب والثورات. ويبحث الزاوي في هذه الرواية عن الشيطان الذي يكمن في التفاصيل الهامشية التي تجاهلها التاريخ الرسمي بشعاراته الملحمية والبطولية، حيث تعد هذه الرواية نصا من النصوص الجريئة في نقد الثورة ونزع القداسة عنها بكل جرأة واستفزاز وعمق.

2-2- نزع القداسة désacralisation:

نزع القداسة هي قراءة النصوص المقدسة بطريقة نقدية تاريخية، ويتساءل علي حرب بهذا الصدد فيقول: " كيف نقرأ النصوص قراءة نقدية تاريخية ونزعم أننا لا ننزع عنها صفة التعالي والقداسة؟ لا مجال إذن للمداورة والالتفاف، بل الأحرى والأولى مجابهة المشكلة بدل من الدوران حولها"¹ وأبرز تجليات نزع القداسة كانت في الدراسات الفلسفية والأعمال الفنية والكتابات الروائية، ويعتبر أمين الزاوي من الأدباء الذين اهتموا بنزع القداسة عن التراث الديني والتاريخي واللغوي.

وستحدث عن نزع القداسة وفق لعناصر ثلاثة هي: نزع القداسة عن الشخصيات، ونزع القداسة عن التاريخ، ونزع القداسة عن اللغة.

أ- نزع القداسة عن الشخصيات:

تشكل الشخصيات الدينية والسياسية والفقهية في روايات أمين الزاوي في صورة منزوعة القداسة، حيث تصل في كثير من الأحيان إلى مستويات مدنسة تنتهك وتقوض صفة التعالي والتقديس عنها.

وتبرز ملامح نزع القداسة في رسم بعض الشخصيات الدينية بطريقة ساخرة ونقدية، تنزلها من المستوى المتعالي الذي أسست له النصوص الدينية من قرآن وحديث وفقه؛ يقول الراوي - في رواية شارع إبليس- مشبها مصالي الحاج بالرسول (ص) " كان والذي يشبه

¹ - علي حرب، (2005)، نقد النص، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 77.

دائما مصالي الحاج في طلعتة المدهشة بلحيته ولباسه التقليدي وثقته في نفسه وإيمانه بالعدالة بالرسول (ص)، كان يقول: لا يكون مصالي الحاج بهذا السحر وهذه الجاذبية إلا على صورة الرسول (ص) ¹ وتحمل هذه الفقرة بين سطورها تبادلا متساويا في الصورة؛ الأول يرتفع بشخصية مصالي الحاج إلى شخصية الرسول (ص)، وهذا يعطيها هالة من القداسة والنزاهة والطهارة، والثاني ينزل من شخصية الرسول (ص) إلى مستوى واقعي بعيد عن القداسة التي يحظى بها في النص القرآني والحديث والفقه والسيرة النبوية، وتعد هذه المشابهة جريئة وصادمة للمتلقي، حيث تجرح شعوره الديني الذي يعلي من مكانة الرسول (ص) ولا يدخله في المقارنة مع الناس العاديين. وفي صفحة أخرى يتحدث عن صورة للزعيم التركي كمال أتاتورك بطريقة مثالية " مثل أمي كنت أعتقد، ونظرا للعناية الكبيرة التي يولمها جدي لهذه الصورة والتي تصل حد التقديس، أنها صورة للرسول عليه الصلاة والسلام أو لأحد الصحابة المبشرين بالجنة" ² ومعروف عن شخصية أتاتورك أنه حارب اللغة العربية والإسلام في بلاده ويعد شخصية معادية للإسلام والمسلمين.

ب- نزع القداسة عن التاريخ:

التاريخ في رواية "شارع إبليس" يعرف مجرى آخر، يختلف عن التاريخ الرسمي ويعاكسه في الاتجاه، إذ يرسم صورة غير معهودة عن الثورة الجزائرية التي طرب العالم لبطولاتها وأمجادها وتضحياتها.

اعتمد أمين الزاوي سردا مضادا يحاول فيه البحث في نقاط معتمدة وحلقات مفقودة رافقت الثورة الجزائرية.

تدور أسئلة النقد في رواية " شارع إبليس" حول شخصية القائد الثوري المسى " مولود أونويل" الذي قام بجرائم ضد إخوانه المجاهدين أثناء الثورة، وعرف بالفساد والفجور بعد استقلال الجزائر.

¹ - أمين الزاوي، (2009)، شارع إبليس، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 15.

² - نفسه، ص 212، 213.

يكتب الزاوي في هذه الرواية على لسان بطلها عبد الله بن كرامة الذي يسرد لنا غدر القائد مولود الذي دس الدسائس ليقتل والد عبد الله ويستفرد بأمه " بعد أيام نزل والذي على رفاقه في جبل زندل...لكن المؤامرة كانت قد حيكّت خيوطها بإتقان...كانت أوامر القائد واضحة هو تصفية المعمر ولكن قبل ذلك وفي غمرة الهجوم يجب تصفية أبي"¹ انتهت العملية التي أشرف عليها القائد مولود بنفسه بمقتل المعمر الإسباني وتصفية والد عبد الله، وهذه الفقرة تجسد الصراع الذي كان يحدث بين المجاهدين، والفضائح والمؤامرات الكثيرة التي غفل عنها التاريخ الرسمي وتناساها، واهتمامه بسرديات بطولية تصور الثورة بعيون مقدسة، " بمعنى لم تعد الثورة التحريرية في هذه السرد امتداد للرؤية الملحمية التي صورتها في صورة عمل عظيم، أنجزته كائنات هي أقرب إلى أبطال الملاحم الاغريقية، إن أهمية هذه الروايات ، أنها أبرزت تناقضات هذا الحدث التاريخي، وأنتجت وعيا مضادا من خلال شخصيات مسكونة بأسئلة قلقة وجارحة، لقد صورت الثورة كضرب من الحدث التاريخي الذي شكلته قوى متصارعة ومتضادة ومتناقضة أيضا، تتحكم فيها المصالح، وتوجهها الأيديولوجيات الوطنية المسكونة بأطماع السلطة"² فالثورة خضعت لقوانين إنسانية وإيديولوجية كغيرها من ثورات العالم، والمبالغة في تقديسها وتمجيدها يقتل روحها.

وقد صرح أمين الزاوي في مقدمة رواية " الساق فوق الساق" برغبته في نزع القداسة عن ثورة نوفمبر قائلا: " في الثورة لا مقدس ولا قديس! في الثورة نحتاج فقط إلى امرأة"³ وبذلك فقد كانت رؤية أمين الزاوي للثورة متجاوزة " لهذه النظرة الرومانسية للتاريخ الوطني، وتنظر إليه نظرة نقدية قريبة من الإدانة، بوضعه في حجرة الاستنطاق للكشف

¹ - أمين الزاوي ، المصدر السابق، ص 19.

² - لوئيس بن علي، (2019/05/30)، جراحات الذاكرة التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة، موقع جزائر ultra.

³ - أمين الزاوي، (2016)، الساق فوق الساق، ط 1 ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 7.

عن الخبايا التي طالما سكّت عنها ¹ فالتاريخ يصنعه بشر، والبشر تتحكم فيهم نوازع شريرة تنبع من مصالح ضيقة، وأطماع سلطوية وأيديولوجيات متناقضة ومتصارعة وبذلك يجب مسائلته التاريخ بكل جرأة وروح نقدية تضع كل الأحداث على طاولة النقد من أجل إضاءة بعض الفترات الغامضة والمظلمة والمفصلية من التاريخ الجزائري.

ج- نزع القداسة عن اللغة:

اللغة العربية أحد القلاع الكبرى والمحصنة بهالة من القداسة الدينية، وسر تقدسها أنها اللغة التي تحمل القرآن الكريم وكل التراث الإسلامي المقدس، حيث انتقلت القداسة من التراث الديني إلى الأداة التي تحمله وهي اللغة.

ينظر أمين الزاوي إلى اللغة العربية نظرة مزدوجة؛ وذلك حسب الحمولة الأيديولوجية التي تنطلق منها، فاللغة الدينية والفقهية والوعظية المحافظة تعد رجعية ويحكمها تراث نحوي وبلاغي قديم تجاوزه الزمن، ومن زاوية أخرى يعتبر اللغة العربية لغة جميلة وحضارية ما دامت تخوض في غمار الثالث المحرم وتكشف المسكوت عنه، إن نظرته للغة بعيدة عن الموضوعية وتتحكم فيها نزعة أيديولوجية واضحة.

حيث يقول في كتابه " حريق في الجنة " رغم أن العربية لغة جميلة. إلا أنها تظل لغة غير مثقفة أو قليلة الثقافة. أزيد من ذلك الإسلام السياسي والعقلية المحافظة أرهاق اللغة العربية وعزلوها عن بقية العالم ²

وقد هاجم أمين الزاوي في بعض رواياته ومقالاته شاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي الذي يعد رمز اللغة العربية إذ تكتب باسمه " لغة المتنبي " يقول الراوي متحدثاً عن

¹ - نورالدين بن نعيمة، (2018 / 12/04)، الرواية الجزائرية والثورة "اللازم من الثورة على قداسة الثورة"، فعاليات اليوم الدراسي "صدى الثورة في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر"، جامعة عمارثليجي، الأغواط، الجزائر، ص 69.

² - Amin zaoui, (2016), un incendie au paradis, tafat éditions, alger, p50 .

أبيه في رواية " شارع إبليس " " مع أنه كان يقرأ العربية بشبهة لم يكن يحب المتنبي كان يرى فيه شاعر ومثقف السلطان والولاء والنفاق والعتبة"¹

وقد أحدث هذا الرأي جدلاً واسعاً وغضباً كبيراً لدى محبي المتنبي وعشاقه، ورأوا أن ضرب هذه الشخصية المركزية في اللغة العربية إنما هو محاولة للنيل منها ونزع قداسها واستبدالها بلغات أخرى. حسب أولوية الأيديولوجيات التي يتبناها أمين الزاوي على غرار الأمازيغية والفرنسية.

2-3- مرجعياته في نقد التراث والمقدس:

لكل كاتب مرجعياته التي يعتمد عليها في تأسيس أيديولوجيته ونظريته للعالم، وتعتبر " المسألة التراثية إشكالية في الواقع الفكري والحضاري الحديث والمعاصر، وهي تتميز بحساسية مفرطة إذ من خلال الموقف منها تقاس سلفية المتحدث أو حداثة وولذلك اختلفت حولها الرؤى والمذاهب إلى حد التباين فكانت محور تأويلات شتى لكل منها أسسها ورؤاها"² إن الانقسام حول قيمة التراث وأهميته ومدى راهنيته وقدرته على إيجاد الحلول للأزمات الثقافية واللغوية والاجتماعية والسياسية جعل كل فريق يستند إلى تيارات معرفية وأيديولوجية ويتبنى أفكارها ورؤاها في النظرة للتراث والمقدس. ويستند أمين الزاوي في قراءته للتراث على ما يلي :

أ- الفكر الغربي:

تبدو ملامح ومظاهر تبني الأفكار الغربية عند أمين الزاوي بكل وضوح، بخاصة الغرب المتمثل في الثقافة والفكر الأوروبي، وقد اهتم الأوروبيون بالتراث العربي الإسلامي: قرآن

¹ - أمين الزاوي، شارع إبليس، مصدر سابق، ص 16.

² - بوشوشة بن جمعة، مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي، معهد بورقيبة للغات الحية،

تونس، ص 191.

وحدیث، ولغة وفقه، وفلسفة، ويعتبر الاستشراق فرعاً معرفياً كبيراً اهتم بالمعارف العربية الإسلامية لأغراض استعمارية وثقافية ومعرفية.

وقد تأثر أمين الزاوي بالفكر الغربي وفقاً لمرتكزين اثنين هما:

أ-1- الاستشراق الكلاسيكي:

أثرت الدراسات الاستشراقية في عقول الكتاب والمثقفين العرب، وتبنت بعض الفئات دراساتها وأفكارها دون نقد أو مسائلة، وأصبحوا مريدين في المدرسة الاستشراقية، وينظرون للتراث على أنه مكن الخطة ومصدر مرض الأمة العربية الإسلامية، وسبب أزماتها وعطالتها الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

ويصعب تحديد نقاط تأثر كاتب ما بالدراسات الاستشراقية، غير أن تبني بعض الطروحات والأفكار الناتجة عن هذا الفكر تؤكد بوضوح تأثر هذا المثقف أو ذاك بهذه المدرسة.

وأبرز الآليات والأفكار الناتجة عن التأثير بالفكر الاستشراقي ونظرته للتراث والمقدس

هي:

- نزع القداسة عن النصوص.
- دراسة النصوص باعتبارها وثائق تاريخية ناتجة عن تفاعل الإنسان مع البيئة والتاريخ.
- قراءة التراث بعيون مريبة ونزعة شكوكية.
- الهجوم على التراث واتهامه بأنه سبب تخلف الأمة العربية الإسلامية.
- الدعوة إلى القطيعة مع التراث، سواء قطيعة نهائية صلبة أو قطيعة ناعمة مراوغة.

وقد تساءل أحد الباحثين مستغرباً من المواضيع التي أولاهها المستشرقون في دراساتهم وجعلوها أساس بحثهم قائلاً " أنظر كيف يلغون في موضوع الفرق ونشأتها، وكيف يلجون ويلحون في هذه القضية، ثم كيف يستमितون في إبراز هذه الاتجاهات الفكرية المتعارضة، وكأنهم يريدون أن يعرفوا التربة التي فيها نشأت والعوامل التي بها ازدهرت، حتى يهيؤوا لها دائماً أن تظل حية متأججة"¹ وهذا لا يعني أن الاستشراق كله سلبى وخائن للأمانة العلمية، بل هناك دراسات وأبحاث أضاءت التراث العربي وحفظته وأثرت مدونته اللغوية والأدبية والتاريخية.

أ-2- فلاسفة وأدباء الحداثة وما بعد الحداثة:

تأثر أمين الزاوي بفلاسفة وأدباء الحداثة وما بعد الحداثة، حيث يورد أسماءهم وتياراتهم ومواقفهم في كثير من كتاباته الروائية ومقالات الرأي والمقابلات الإذاعية والتلفزيونية.

وذكر أسماء الأدباء والفلاسفة عادة تلازم كل كتابات أمين الزاوي، حيث يستشهد دائماً بهم ويوظفهم في سرده بطريقة واعية أو لاواعية، وذلك لشدة تعلقه وإعجابه بهم، ففي رواية " شارع إبليس" يذكر بعض الأسماء على غرار: سارتر، كامو، بول إوار، لوي أراغون²، وتولستوي، دوستوفسكي، غوركي³، مارغريت دوراس، جون سينك، باولو كويلو... واستحضر هذه الأسماء في المدونة الروائية للزاوي يعتبر إحالة واستناداً مرجعيتهم في الكتابة والأسلوب والفكر، وتأثيرهم لا محالة واضح في نزعتة الأيديولوجية والحداثية الغربية.

¹ - عبد العظيم الديب، (1992)، المستشرقون والتراث، ط3، الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ص26.

² - أمين الزاوي، شارع إبليس، مصدر سابق، ص14.

³ - المصدر نفسه، ص16.

ب- الفكر الحدائي العربي:

كانت رحلة أمين الزاوي إلى دمشق سفراً معرفياً بامتياز، حيث انتقل سنوات الثمانينيات للدراسة – ما بعد التدرج – وتعرف عن قرب على شخصيات فكرية وأدبية وثقافية سورية وعربية أثرت رصيده الثقافي، وفتحت له آفاق فكرية وأدبية في الساحة الثقافية الجزائرية والعربية والعالمية.

من بين المفكرين العرب الذين تأثر بهم يذكر: طه حسين، حسين مروة، لويس عوض، صادق جلال العظم¹، ويعد هذا الأخير أبرز الشخصيات الفكرية السورية التي تأثر بها بخاصة في كتابيه: نقد الفكر الديني 1969، وذهنية التحريم 1992، وقد أحدث هذان الكتابان ضجة كبيرة في الساحة الثقافية العربية.

وفي مقطع آخر من الرواية يذكر: كاتب ياسين، جورج حاوي، حسين مروة، مهدي عامل، إلياس خوري، غسان كنفاني، جورج حبش، ماهر الشريف، سعيد عقل²، كذلك لابد أن لا ننسى هوسه بالأدباء والشعراء القدامى مثل: أبو نواس، بشار بن برد، الجاحظ، الحلاج، السهروردي، بن عربي، السيوطي، النفزاوي وغيرهم من الكتاب الذين كتبوا عن ثيمة الجنس والمجون واللهو ووصف الجواري والغلمان، ويضعهم في خانة الكتاب الحدائين الذين سبقوا زمانهم.

ج- عوامل نفسية ذاتية:

لكل كاتب رغبات واعية وأخرى لاواعية مكبوتة تنتقل له من العائلة والأصدقاء والمحيط والأحداث والأزمات التي عاشها، بخاصة مرحلة الطفولة التي تعتبر مرحلة أساسية ومركزية في تكوين العقل والذكريات وهي خزان (للمكبوت، والذكريات، والمنسي، والمهمش، والمسكوت عنه) حيث تساهم الرغبات الواعية واللاواعية في إنتاج النص الأدبي، بالإضافة للتناص الذي ينتج عن قراءة نصوص أخرى تخزنها الذاكرة وتعيد صياغتها، فالنص كما

¹ - أمين الزاوي، شارع إبليس، مصدر سابق، ص 117، 118.

² - نفسه، ص 162.

تعرفه جوليا كريستيفا " هو جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان، فالنص إذن إنتاجية وهو ما يعني أنه ترحال لنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتناقى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"¹ فالكتابة نظام إنتاجي يخضع للعديد من الآليات والاستراتيجيات النفسية واللغوية العميقة والمعقدة.

إن إنتاج النص يخضع للعوامل النفسية والسوسيو ثقافية والتاريخية التي عاشها الكاتب في مختلف مراحل حياته، وأطواره الدراسية، وأزماته النفسية، وأسفاره ومحيطه وقرائه.

إن " لاشعور النص هو طاقة كامنة مولدة للمعنى، إنها مصدر لا ينضب من الدلالات، والمحرك الأساسي لهذه الدلالات هو القارئ"² فالقارئ هو المحرك الأساسي لعملية القراءة وتأويل النص واستنطاقه لأن النص حسب إمبرتوايكو " آلة كسولة تتطلب من القارئ عملاً تعاونياً شاقاً من أجل ملئ فراغات ما لم يقل، أو ما قيل وبقي بياضاً"³ فالمهم في النص هو البياض والمسكوت عنه وغير المعلن، أي؛ ما لم يقال، وليس ما قيل وكان واضحاً ولا يحتاج تأويلات متعددة.

3- التراث والهوية:

تشكل الهوية من مجموعة من الثوابت التي ترتبط بماضي الأمة المتجذر في التاريخ؛ كاللغة والدين والرموز الثقافية، ويعتبر تراث الأمة المكون الأساسي والمرجعية المركزية التي تتبلور وتتجسد من خلاله ملامح الهوية، فالتراث هو " النسق المتكامل الذي يمكن في حال

¹ - جوليا كريستيفا، (1991)، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ص23.

² - حميد لحميداني، (1991)، النقد النفسي المعاصر، تطبيقات في مجال السرد، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ص34.

³ - محمد خرماش، (1993)، عن المرجع السوسولوجي في تكوين الخطاب الأدبي، مجلة مكناسة، عدد7، كلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، ص14.

استثماره استثمارا جيدا تحقيق تحصين الذات, ومقاومة الأجنبي"¹ وهذا ما يعطي للأمة شخصيتها العميقة, كما يحميها من الذوبان في أمم أخرى عن طريق قوى صلبة كالاستعمار, وأخرى ناعمة كالعملة والغزو الثقافي.

ويمكننا تلخيص رؤية أمين الزاوي للتراث والهوية وفقا لخمس عناصر:

1-3 - نقد ثوابت الهوية:

يعتبر أمين الزاوي من الروائيين الجزائريين الأكثر نقدا للمدونة التراثية: لغة، تاريخا، ودينا، ويظهر ذلك في الكثير من رواياته المكتوبة بالعربية والفرنسية، فاللغة العربية مثلا هي أحد الأعمدة الأساسية في تشكيل الهوية الجزائرية، وينظر لها الإنسان الجزائري نظرة قداسة لارتباطها بالدين الإسلامي، وقد تلقت نقدا وسخرية لاذعة في مدونته الروائية، فاللغة العربية " في المخيال الجزائري مرتبطة بالدين.. هي لغة الجنة والقرآن.. وقد اختطفت من طرف الإسلاميين"² حيث يسعى في كتاباته لنزع القداسة عن اللغة العربية والدفاع عن التعددية اللغوية (عربية، أمازيغية، فرنسية) كما يدافع أيضا عن اللغة الدارجة ضد الفصحى حيث يقول: " من دون الدارجة ستموت اللغة العربية وتختفي من الحياة الاجتماعية واليومية، ومن دونها ستبقى حبيسة الطقوس الدينية"³ فاللغة العربية حسب الزاوي تم اختطافها من طرف الإسلاميين، وأصبحت لغة طقوس دينية، بعيدة عن الحياة الاجتماعية واليومية، وكذلك نجده يوجه سهام نقده للتاريخ الإسلامي بمختلف مظهراته وحقبه ورموزه.

2-3 - القطيعة الناعمة:

رؤية أمين الزاوي للغة والتاريخ والدين تحمل أفكارا ضمنية تسعى لنزع القداسة عن ثوابت الهوية التي تعتبر المرجعية الأساسية للشخصية الجزائرية. حيث يهدف إلى خلخلة

¹ - سعيد يقطين، (1992)، الرواية والتراث السردى، المركز الثقافى العربى، المغرب، ص141.

² - Amin zaoui, op.cit, p65 .

³ - ibid, p50

اليقينيّات الثابتة والمتحجرة التي أدت إلى تخلف الأمة وتعميق أزمتها الحضارية، فالأزمة التي تعيشها الشعوب العربية والإسلامية – حسبه – تكمن في التمسك بهذه الثوابت الناتجة عن النظرة التقديسية للتراث العربي الإسلامي.

3-3- تجاوز التراث والانفتاح الهوياتي:

أصبح الانفتاح الهوياتي أكثر إلحاحا بسبب عوامل كثيرة لعل أبرزها سياسة العولمة الاقتصادية والثقافية ورغبتها في الهيمنة، وابتلاع الثقافات والهويات المحلية باستخدام وسائل وأدوات تكنولوجية ورقمية تتميز بالسرعة والانتشار والقدرة على التأثير.

3-4- الهوية بين ثوابت التراث ورياح العولمة:

تعيش الهويات الثقافية المحلية في كل أنحاء العالم أزمة معقدة هزت أركان وجوهر الهوية، حيث أصبحت هذه الأخيرة محصورة بين ثابت له مرجعيات ماضوية تراثية متعددة حسب الثقافات والأعراق، ومتحول له تأثيرات وإغراءات حديثة تتضاد مع مرجعيات وقيم الهويات المحلية، وتهدف للهيمنة الثقافية بمحاولة فرض نمط عالمي موحد له توجهات إمبريالية عولمية.

ويرى عبد الوهاب المسيري أن العولمة لها أخطار على كل العالم، بما فيه " الخصوصيات الأمريكية (حضارة الساحل الشرقي، حضارة وسط أمريكا، حضارة الجنوب... الخ) وهي حضارات محلية في غاية الثراء كلها أخذت في التآكل السريع بتأثير عمليات الأمركة العلمانية"¹، فالعولمة منظومة فكرية وسياسية واقتصادية تلغي كل الخصوصيات والاختلافات ولها رؤية مادية للعالم والإنسان ولا تهتم بالأبعاد الروحية والأخلاقية ولذلك فمرتكزات وأسس العولمة هي النظرة الاقتصادية المادية للوجود ومحاربة الأبعاد الروحية

¹ - سوزان حرفي، (2009)، العلمانية والحادثة والعولمة، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق، ص 267.

والأخلاقية والإنسانية التي يزخر بها التراث المحلي بكل اختلافاته وتنوعه عند الشعوب والأمم في العالم.

5-3- الهوية والهجنة:

ينطلق أمين الزاوي في كتاباته من مبدأ تعددية الهوية واستحالة نقاءها، ويرى إدوارد سعيد أنه "ليس بمقدورنا أن نسيج هويتنا أو هوية الآخرين في مفهوم سكوني، لأن الهويات تنتج عن سيرورة تاريخية، واجتماعية، وفكرية، وسياسية معدة ومهيأة تظهر هذه السيرورة بمثابة صراع يتضمن الأفراد والمؤسسات في كل المجتمعات"¹ حيث يهاجم الزاوي كل الأيديولوجيات التي تدعي النقاء الهوياتي، ويرى أن الجزائر بلد متعدد لغويا وعرقيا وثقافيا، عكس ما تدعيه التيارات المؤدلجة التي تسعى لفرض نمط ثابت وموحد يقصي الأبعاد التاريخية الأخرى، فالهوية في نهاية المطاف "ليست ذاتا طبيعية بيولوجية وراثية فنحن لا نولد بهويات بل نكتسب هوياتنا من خلال الثقافات التي نتشربها والمناطق التي نعيش فيها أو نمربها"² فكل هوية تتأرجح بين ثوابت مكتسبة وأخرى مورثة نتيجة السيرورة التاريخية للأمة وتبادلها الحضاري واختلاطها وصراعها ببقية الأمم الأخرى، وعلى هذا الأساس تنتفي صفة النقاء وتحل محلها صفات أخرى كالتعددية والاختلاف والهجنة.

وتتجلى مظاهر الهجنة في المتن الروائي لأمين الزاوي عن طريق اهتمامه بمختلف اللغات والثقافات والأعراق التي أثرت الهوية الجزائرية وأعطتها زخما وإشعاعا ثقافيا متنوعا ومتجذرا في التاريخ.

والهجنة في الذهنية الجزائرية مظهر من مظاهر فقدان الثوابت والخصوصيات وشكل من أشكال اللانقاء الذي يوحي بالسلبية، وهذا نتيجة الأدلجة التي تسعى لبناء هوية نقية

¹ - فريد بوشي، (2018)، إدوارد سعيد الأنسني الراديكالي في أصول الفكر ما بعد الكولونيالي، تر: محمد الجرطي، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص 194.

² - سليم حيولة، (2013)، الهوية ومفارقاتها في فكر إدوارد سعيد النقدي، بحث في الأصول الفكرية، عن كتاب جماعي، إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والفضاء الإمبراطوري، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 163.

وخوفها من التعدد والانفتاح، فالهجنة واقع تفرضه السيرورة التاريخية والاجتماعية والسياسية والفكرية للأمم والشعوب.

خاتمة:

نستخلص بعض النتائج مما تقدم ذكره:

- اهتم أمين الزاوي في كتاباته بالتراث، حيث نجده دائم الحضور في مدونته الروائية، غير أنه ينظر له نظرة انتقائية تحتفي بتياراته العقلانية وتمجدها، وتدين تياراته الفقهية وتتهمها بأنها السبب في تخلف الأمة والمسؤولية عن أزماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- نظرة الزاوي الانتقائية للتراث، تضرمرقطيعة ناعمة لأبرز تياراته ورموزه ومقولاته، وتشكك في ثوابته وتسعى لخلخلة يقينياته، بالهجوم عليها تارة، والسخرية منها تارة أخرى.
- التأثير بالتيارات التنويرية الأوروبية بخاصة الفرنسية منها؛ ابتداء من عصر التنوير ورواده، والدراسات الاستشراقية وأطروحاتها، ومفكري الحداثة وما بعد الحداثة، كما أنه يتبنى مواقف بعض المفكرين الحداثيين العرب في المشرق والمغرب.
- تعد فكرة نزع القداسة هاجسا مركزيا في المدونة الروائية لأمين الزاوي، حيث يسعى لنقد المركزية والثوابت الدينية واللغوية والتاريخية، وهذا واضح في نقده للتاريخ العربي الإسلامي ورموزه، بالإضافة إلى ذلك، يسعى الزاوي لكسر التابوهات بخوضه الدائم في مسائل خلافية ملغمة حول الدين والسياسة والجنس.
- ينظر أمين الزاوي للهوية الجزائرية بأنها هوية مرنة، متعددة لغويا ودينيا وعرقيا وثقافيا، وهذا ناتج عن السيرورة التاريخية والاجتماعية والسياسية التي مر بها التاريخ الجزائري، ويحتفي بمكوناتها المختلفة، ويدعو للتسامح مع بعض الأقليات التي همشها التاريخ على غرار الأقلية اليهودية في الجزائر.

- يعتمد الزاوي في كتاباته على النقد المباشر الجريء، والاستفزاز المتواصل، وهذا ما جعله عرضة للنقد والهجوم من طرف الكثير من التيارات السياسية والفكرية في الجزائر.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، (د ت)، لسان العرب، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط.
2. أبو بكر الرازي، (1986)، مختار الصحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان.
3. أمين الزاوي، (2009)، شارع إبليس، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.
4. أمين الزاوي، (2016)، الساق فوق الساق، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.
5. بوشوشة بن جمعة، مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي، معهد بورقبة للغات الحية، تونس.
6. جوليا كريستيفا، (1991)، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دارتبوقال للنشر والتوزيع، المغرب.
7. حميد لحميداني، (1991)، النقد النفسي المعاصر، تطبيقات في مجال السرد، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب .
8. خالد فهي، أحمد محمود، (2014)، مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، مركز تراث للبحوث والدراسات، القاهرة، مصر، ط1.
9. سعيد يقطين، (1992)، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، المغرب.
10. سليم حيولة، (2013)، الهوية ومفارقاتها في فكر إدوارد سعيد النقدي، بحث في الأصول الفكرية، عن كتاب جماعي، إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والفضاء الإمبراطوري، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.
11. سوزان حرفي، (2009)، العلمانية والحداثة والعولمة، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الفكر، دمشق.
12. عبد العظيم الديب، (1992)، المستشرقون والتراث، ط3، الوفاء للطباعة والنشر، مصر.

13. علي حرب، (2005)، نقد النص، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب.
14. فريد بوشي، (2018)، إدوارد سعيد الأنسني الراديكالي في أصول الفكر ما بعد الكولونيالي، تر: محمد الجرطي، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
15. لونيس بن علي، (2019/05/30)، جراحات الذاكرة التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة، موقع جزائرultra.
16. محمد خرماش، (1993)، عن المرجع السوسولوجي في تكوين الخطاب الأدبي، مجلة مكناسة، عدد7، كلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب.
17. محمد عابد الجابري، (1991)، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
18. نورالدين بن نعيمة، (2018 /12/04)، الرواية الجزائرية والثورة "اللازوم الثورة على قداسة الثورة"، فعاليات اليوم الدراسي "صدى الثورة في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر"، جامعة عمارتليجي، الأغواط، الجزائر.

المراجع باللغة الاجنبية:

- 19- Amin zaoui, (2016),un incendie au paradis,tafat éditions,alger.

